مجلة العلوم الإسلامية والحضارة رقم ISSN 2477 – 9903
المجلد 05 ـ العدد 02 ـ السنة 2020 ص 191 - 220

نقد الشيخ عبدالرحمن بن الجوزي للحنابلة وغيرهم في موضوع الأسماء والصفات من خلال كتابه نفي شبهة التشبيه

Sheikh Abd al-Rahman ibn al-Jawzi criticized Hanbali and others on the topic of names and attributes through his book Negating Suspicion of Simile

علي عدلاوي *

جامعة عمار ثليجي، الأغواط، الجزائر، boukabcha@gmail.com

تاريخ الإرسال: 2020/03/25 تاريخ القبول: 2020/05/02 تاريخ: النشر: 2020/06/08

الملخص:

يعدّ باب الأسماء والصفات في علم العقيدة الإسلامية من أخطر المواضيع التي زلّت فيها أقدام، وحارت فيها عقول، والتبس الحق فيها بالباطل، واختلط فيه الصحيح بالسقيم، وبسببه افترقت الفرق، فكفّر بعضها بعضا، وبدّع بعضها بعضا.

وإذا كان الأمر مسوّغا بين العقائد المختلفة في الأصول مع أهل السنة والجماعة، مثل الشيعة والخوارج، فإن الاختلاف داخل المذهب الواحد، في أمر يفترض فيه التصور الواحد، سيما في المذهب الحنبلي، الذي يعدّ أصحابه من أشدّ المتمسكين بمذهب السلف الذين يمرّون الأسماء والصفات على ظاهرها، ولايقولون فيها برأي لغوي ولاعقلي..إنّ ذلك يعد – بالفعل –نشازا، بل وزلزالا! ولذلك لم يتقبل الحنابلة انتقاد علم من أعلامهم، وهو العلامة عبدالرحمن بن الجوزي رحمه الله لمذهبهم في باب الأسماء والصفات، وذلك في مؤلفه الموسوم ب: (دفع شبهة التشبيه)، حيث استعمل العقل واللغة لإيصال المعنى للعامة كما يزعم رحمه الله.

وهذه المداخلة عبارة عن قراءة في كتابه ذاك، سائلين المولى عز وجل التوفيق والسداد.

* المؤلف المرسل

الكلمات المفتاحية: نقد ; الأسماء ; الصفات; شبهة التشبيه.

Abstract:

The door of names and attributes in the science of Islamic faith is one of the most dangerous subjects in which have felt feet, And the minds were sharp in it, The right to wrongdoing is false, And mixed with the correct and incorrect, And because of it the teams were diverged, we disbelieve each other, And defamed each other, And if it is justified between the different beliefs in the assets with the Sunnis and the community, Such as the Shiites and the Kharijis, the difference within the same doctrine, in which one scenario is assumed, Especially in Hanbali doctrine, Whose authors are among the most adherent of the doctrine of the Salaf who pass names and attributes on the face of it, And do not say a linguistic or mental opinion .. This is a nuisance, and even an earthquake! Therefore, Hanbali did not accept criticism of the flag of their flags, the mark Abdul Rahman bin al-Jawzi God's mercy, for their doctrine in the door names and attributes, In his book, entitled (Paying the suspicion of analogy), where he used the mind and language to convey the meaning to the public as alleged by God's mercy.

Keywords: criticized, names, attributes, Suspicion of Simile

مقدمة:

لما كان علم العقيدة أخطر العلوم الشرعية وأهمها، صار البحث فيها من أصعب البحوث، سيما ما تعلق بباب الأسماء والصفات من قسم التوحيد.

والناظر في تاريخ هذا العلم يجد أنه مرّ بمراحل من عهد النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام عليهم الرضوان إلى عهد الخلف المتأخرين، حيث نميّز بين مدرستين كبيرتين في أهل السنة والجماعة: الأشاعرة وهم السواد الأعظم من العلماء والعامة معا، والذين جمعوا بين العقل والنقل، وأهل الحديث والأثر(السلف) الذين اقتصروا على النقل. وقد حدث بين المدرستين من الخلاف والشقاق ما لا يقبله عقل الأريب، ولا يزال هذا الخلاف قائما إلى يوم الناس هذا.

وللحنابلة نزعة ظاهرية في تناول النصوص، مع تعصّب وتطرف في الاتباع، وهو ما لم يقبله أحد أعلامهم، وهو الإمام العالم العارف بالله تعالى عبد الرحمن بن الجوزي، الذي ألّف كتابه الموسوم ب (دفع شبهة التشبيه)[1]. ردا عليهم في باب الأسماء والصفات خصوصا.

أهمية الموضوع:

يكتسي موضوع الأسماء والصفات من علم العقائد الإسلامية أهمية بالغة، وخطورة كبيرة، لتعلّقه بالمولى عزوجل(ذاتا وأسماء وصفات وأفعالا). وإن الرسوّ على سفينة النجاة في مضماره صعب المنال، ولذلك كان منهج السلف أسلم في تمرير آيات وأحاديث الصفات، حتى قالوا: قراءتها تفسيرها.

ومع ذلك يرى علماء الخلف ضرورة التأويل مع التنزيه، سيما للعامّة، لئلا يقعوا في طائلة التشبيه، وهو ما عمل عليه ابن الجوزي رحمه الله في كتابه "دفع شبهة التشبيه".

منهجية البحث:

بما أن الدراسة نقدية، فقد جمعنا بين منهجي التحليل والمقارنة.

خطة البحث:

القراءة في كتاب "دفع شبهة التشبيه" فرضت علينا خطة كالآتي:

مقدمة: تضمنت الإشارة إلى مدرستي النقل والعقل، وشذوذ ابن الجوزي عن فلسفة الحنابلة في التعاطي مع النصوص الشرعية في باب الأسماء والصفات، ثم عرض لعناوين الكتاب، كما اختارها محققه (الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله)، مع بيان مقتضب لأهمية الموضوع ومنهجه وخطته.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن سيرة الشيخين أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن الجوزي رحمهما الله تعالى

ويتضمن ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: سيرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى

المطلب الثاني: سيرة الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله تعالى

المطلب الثالث: محتويات كتاب (دفع شبهة التشبيه)

المبحث الثاني: نقد ابن الجوزي للحنابلة في باب الأسماء والصفات

ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: ثناؤه على الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وتمسّكه بمذهبه العقدي

المطلب الثاني: انتقاده لأعلام المذهب الحنبلي

الخاتمة: تضمنت أهم النتائج والتوصيات.

قائمة بعناوين المصادر والمراجع.

المبحث الأول: نبذة مختصرة عن سيرة الشيخين أحمد بن حنبل وعبد الرحمن بن الجوزي رحمهما الله تعالى

المطلب الأول: سيرة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى

1ـ **مولده ونشأته:** هوأبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله، وُلد أحمد بن حنبل في شهر ربيع الأول من سنة مائة وأربع وستين للهجرة. وقد ولد يتيما، فقد قال: "لم أرَ جدي ولا أبي"، وقد ذُكر أن أباه مات شاباً في الثلاثين من عمره، ولقد قامت أمه بتربيته في ظل مَن بقي من أسرة أبيه، وكان أبوه قد ترك له ببغداد عقاراً يسكنه، وآخر يغل له غلة قليلة تعطيه الكفاف من العيش، فاستغنى بذلك عما في أيدي الناس[2].

2ـ الرحلة في طلب الحديث:

بدأ أحمد بن حنبل رحلاته سنة مائة وستة وثمانين للهجرة، ليتلقى الحديث عن الرجال، فرحل إلى العراق وإلى الحجاز وإلى تهامة وإلى اليمن، وكان يود أن يرحل إلى الري ليستمع إلى جرير بن عبد الحميد، ولم يكن قد رآه قبل في بغداد، ولكن أقعده عن الرحلة إليه عظيمُ النفقة عليه في هذا السبيل. وتوالت رحلاته ليتلقى عن رجال الحديث شفاهاً، ويكتب عن أفواههم ما يقولون، فرحل إلى البصرة خمس مرات، كان يقيم فيها أحياناً ستة أشهر يتلقى عن بعض الشيوخ، وأحياناً دون ذلك وأحياناً أكثر، على حسب مقدار تلقيه من الشيخ الذي رحل إليه[3].

3ـ جلوسه للتحديث والفتوى:

بعد أن طلب أحمد بن حنبل الحديث من رجاله واستمع إليهم وكتب عنهم ما استمع، وطوَّف في الأقاليم الإسلامية يطلب الحديث، جلس للتحديث والفتيا، ويُروى إنه لم ينصب نفسه للتحديث والفتوى إلا بعد أن بلغ الأربعين، فقد قال ابن الجوزي: " إلا أن الإمام أحمد رضي الله عنه لم يتصدّر للحديث والفتوى، ولم يُنصّب نفسه لهما حتى تمّ له أربعون سنة "[4].

4ـ محنته:

سبب المحنة التي وقعت بأحمد بن حنبل هو أن الخليفة المأمون دعا الفقهاء والمحدثين أن يقولوا مقالته في خلق القرآن، فيقولوا إن القرآن مخلوق محدَث، كما يقول أصحابه من المعتزلة الذين اختار منهم وزراءه وصفوته، ولكن أحمد بن حنبل لم يوافق المأمون في رأيه، ولم ينطق بمثل مقالته بل كان يقول إن القرآن كلام الله، وقد أدى ذلك إلى نزول الأذى الشديد به، والذي ابتدأ في عصر المأمون ثم توالى في عصر المعتصم والواثق بوصية من المأمون واتباعاً لمسلكه. واستمر حبسه ثمانية وعشرين شهراً[5].

5ـ سبب انحسار المذهب الحنبلي وقلة انتشاره:

من الأسباب في عدم انتشار المذهب الحنبلي أن البلاد الإسلامية عندما أخذ ذلك المذهب يذيع وينمو قد اعتنقت مذاهب مختلفة، فالمذهب الحنفي كان في العراق، والشافعي كان في الحجاز وتهامة والشام ومصر، والمالكي كان في المغرب وغير ذلك، وقد جاء الإمام أحمد بعد هؤلاء الأئمة، فجاء مذهبه بعد مذاهبهم، ولكي يسود كان يجب أن يزيلها من طريقه أو يُضعف شأنها، ولم يكن في معتنقيه تلك القوة، ولم يكن من الدولة عون، بل كانت أحوال معتنقيه تُنفِّر الناس والدولة، فاجتمع له ضعف من العامة الذين اعتنقوه، ومحاربة من الناس والسلطان، وعدم وجود فراغ يملؤه[6].

6ـ وفاته:

مات أحمد بن حنبل في وقت الضحى من يوم الجمعة في الثاني عشر من شهر ربيع الأول سنة مائتين وواحد وأربعين للهجرة ، وهو ابن سبع وسبعين سنة، ودُفن بعد العصر، قال عبد الله بن أحمد بن حنبل : " توفي أبي في يوم الجمعة ضحوة، ودفنّاه بعد العصر لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى وأربعين " [7].

7– فضله وثناء العلماء عليه:

–قال عنه الإمام الشافعي رحمه الله: "خرجت من بغداد وما خلفت بها أحداً أورع ولا أتقى ولا أفقه من أحمد بن حنبل"[8].

–وقال قرينه ومعاصره القاسم بن سلام: " انتهى العلم إلى أربعة: أحمد بن حنبل، وعلي بن المديني، ويحي بن معين، وأبي بكر بن شيبة، وأحمد أفقههم فيه "، وقال أيضاً: " ما رأيت رجلاً أعلم بالسنّة منه" [9].

–وقال أبو عمير عيسى بن محمد الرملي: " رحمه الله، عن الدنيا ما كان أصبره! وبالماضين ما كان أشبهه! وبالصالحين ما كان ألحقه! عرضت له الدنيا فأباها، والبدع فنفاها" [10].

-وقال محمد بن عبد الله بن طاهر:

أضحـى ابن حنبل حجة مبرورة ** وبحب أحمد يعرف المتنسـك

وإذا رأيت لأحمد متنقصـــا ** فاعلم بأن ستـوره ستهتك[11]

8-بعض مؤلفاته[12]:

1-المسند، وقد قام الإمام أحمد بجمعه طوال أيام حياته، وضمَّنه ثلاثين ألف حديث حسب رواية أبي الحسن بن المناوي، وذهب قوم إلى أن عدد أحاديث المسند أربعون ألفاً، على أن أحاديث المسند قد انتقيت من سبعمئة وخمسين ألف حديث رويت من أكثر من سبعمئة صحابي، وكان الإمام أحمد يُملي الأحاديث على خاصته وخصوصاً ولده عبد الله، كما كان يسجّل بعضها في كثير من الأحيان بنفسه، ولكنه توفي قبل أن يُخرج العمل الكبير للناس بنفسه، فقام ابنه عبد الله على إعداده، وإضافة بعض ما سمع من أحاديث صحيحة نصَّ على أنه أضافها بعد وفاة أبيه[13].

2- مسائل الإمام أحمد، برواية ابنه عبد الله، وآخر برواية ابنه أبي الفضل صالح، وآخر برواية أبي داود السجستاني.

3- أصول السنة.

4- العقيدة، برواية أبي بكر الخلال.

5-الورع، برواية المروزي.

6- الرد على الجهمية والزنادقة.

7- الزهد.

8- العلل ومعرفة الرجال، برواية المروذي وغيره.

9- أحكام النساء.

المطلب الثاني: سيرة الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله تعالى [14]

1- مولده ونشأته:

هو الشيخ الإمام العلامة، الحافظ المفسر، شيخ صناعة الوعظ، درة المجالس، وجامع الفنون، وصاحب التصانيف الكثيرة، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن الجوزي، ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين، وخليفة رسول صلى الله عليه وسلم أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ولد ابن الجوزي سنة 510هـ ببغداد، ومات أبوه وله ثلاثة أعوام، فتولت عمته تربيته لزواج أمه، فنشأ ابن الجوزي يتيمًا: يتنقل بين أقاربه الذين كانوا يعملون في تجارة معدن النحاس، فلما أنست منه عمته عزوفًا عن اللهو والتجارة دفعت به إلى طريق العلم، فلزم مسجد محمد بن ناصر الحافظ، وجلس لسماع الدروس والحديث، ثم لزم حلقة الشيخ ابن الزغواني شيخ حنابلة العراق، فظهر نجمه، وتقدم على أقرانه، وكان -وهو صبي- دينًا مجموعًا على نفسه لا يخالط أحدًا، ولا يجاري أترابه في لهوهم ولعبهم.

2- محنته ووفاته رحمه الله [15]:

في العهد السلجوقي تمكّن الشافعية من مقاليد الحكم ف: "استطالوا بشدة على الحنابلة، وضيقوا عليهم في المجالس والمدارس، ودخلوا معهم في مهاترات حامية بسبب العقائد، وشنعوا عليهم، وظل الأمر على ما هو عليه فترة طويلة، حتى ظهرت شخصية الإمام ابن الجوزي، الذي استطاع أن يستقطب الناس إلى مجالس وعظه، ويبهرهم بفريد عباراته، وفائق تذكيراته، فحضر مجالسه عشرات الآلاف من الكبار والصغار، والرجال والنساء، وحضرها الخليفة العباسي نفسه، والسلطان السلجوقي، والوزراء والأمراء والكبراء، والأغنياء والفقراء، حتى كان يحضرها الشيعة الذين بهرهم رائع بيانه، خاصة وابن الجوزي كان ممن يداري ويهادن، ولا يخوض في الخلافيات، بالجملة

أصبح ابن الجوزي حديث الناس، وأشهر علماء بغداد والعراق، وقد أدى ذلك لارتفاع مكانة الحنابلة، وإقبال الناس على شيوخ المذهب، وذلك الأمر أغاظ أتباع باقي المذاهب عامة، والشافعية خاصة(..)ابن الجوزي كان مفخرة العراق في وقته، ودرة بغداد في زمانه، شهرته طغت على علماء الوقت، فحسدوه، وغاروا من إقبال الناس عليه، وقابل ذلك هو بمزيد من الاعتداد بالنفس، والاعتزاز بالقدر حتى داخله نوع من العجب والغرور، كما أنه كان شديدًا في نقده، حادًا في ملاحظاته، لاذعًا في تعليقاته، خاصة على الوعاظ والعلماء من الشافعية والأحناف، لا يبالي بمكانة وقدر من ينتقد ويجرح، حتى خرج بنقده إلى نوع من التحامل والتعصب، وهي أمور كلها قد أورثته عداوة وخصومة الكثيرين، حتى من أصحابه الحنابلة، الذين غضبوا من انتقاده للشيخ الرباني عبد القادر الجيلاني، وكان رأس الوعاظ في العراق قبل ظهور ابن الجوزي، وفي نفس الوقت شيخ الحنابلة بالعراق.

تولى الوزارة في تلك الفترة رجل شيعي اسمه ابن القصاب، وكان صديقًا للركن عبد السلام للموافقة في الاعتقاد، فسعى عنده للإيقاع بالشيخ عند الخليفة الناصر العباسي، فقال الوزير الرافضي للخليفة العباسي: أين أنت من ابن الجوزي الناصبي؟ وهو أيضًا من أولاد أبي بكر الصديق، ثم ما زال بالخليفة حتى غير قلبه على ابن الجوزي، وفوض الأمر إليه في التصرف معه، وذلك سنة 590هـ، وكان ابن الجوزي وقتها في الثمانين من العمر؛ ففوض الوزير ابن القصاب الركن عبد السلام في التصرف مع الشيخ ابن الجوزي؛ فذهب إلى داره بنفسه، ومعه الكثير من الحراس، وأبناء الشيخ عبد القادر؛ فشتموه وأهانوه، وجذبوه بشدة من بين عياله، وكان عليه ملابس خفيفة بلا سراويل، وختموا على داره، ووضعوه في سفينة صغيرة، ونفوه إلى مدينة واسط، وهناك حبسوه في بيت ضيق بلا أحد يخدمه، وكان شيخًا مسنًا قد جاوز الثمانين، فبقي وحده يطبخ لنفسه، ويغسل ثيابه لنفسه، ممنوع عليه الاجتماع مع الناس، أو الجلوس للوعظ كما هي عادته،ولاقى ضروبًا من المحن والهم والتعب طيلة خمس سنوات في النفي. وفي سنة 595هـ أذن له الله عز وجل في رفع المحنة، وفك الكربة، وذلك بشفاعة أم الخليفة الناصر العباسي، وعاد ابن الجوزي من منفاه في واسط إلى بغداد، وأذن له في الوعظ كما كان، وعاد إلى مكانته وعزه وسؤدده، وحضر الخليفة العباسي بنفسه أول مجالس وعظه، وكانت كلمات ابن الجوزي مؤثرة،

ملهبة، وقد خرجت من قلب احترق بالمحن، حتى خرج نقيًا من كل شائبة، وبعد ذلك بقليل مرض ابن الجوزي، ثم مات في منتصف شهر رمضان سنة 597هـ فرحمة الله عليه ".

3- قالوا عنه:

نكتفي بما ذكره عنه شيخا المؤرخين الإمام الذهبي ، والإمام ابن كثير رحمهما الله، فقال الذهبي: " كان رأسًا في التذكير بلا مدافعة، يقول النظم الرائق، والنثر الفائق بديهًا، ويسهب، ويعجب، ويطرب، ويطنب، لم يأت قبله ولا بعده مثله؛ فهو حامل لواء الوعظ، والقيِّم بفنونه، مع الشكل الحسن، والصوت الطيب، والوقع في النفوس، وحسن السيرة، وكان بحرًا في التفسير، علامة في السير والتاريخ، موصوفًا بحسن الحديث، ومعرفة فنونه، فقيهًا، عليمًا بالإجماع والاختلاف، جيد المشاركة في الطب، ذا تفنن وفهم وذكاء، وحفظ واستحضار...."[16] .

وقال عنه ابن كثير : " الشيخ الحافظ الواعظ جمال الدين أبو الفرج المشهور بابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي الحنبلي، أحد أفراد العلماء، برز في علوم كثيرة وانفرد بها عن غيره، وجمع المصنفات الكبار والصغار نحوا من ثلاثمائة مصنف، وكتب بيده نحواً من مائتي مجلدة، وتفرد بفن الوعظ الذي لم يسبق إليه، ولا يلحق شأوه فيه وفي طريقته وشكله، وفي فصاحته وبلاغته وعذوبته وحلاوة ترصيعه ونفوذ وعظه وغوصه على المعاني البديعة، وتقريبه الأشياء الغريبة فيما يشاهد من الأمور الحسية بعبارة وجيزة سريعة الفهم والإدراك، بحيث يجمع المعاني الكثيرة في الكلمة اليسيرة. هذا وله في العلوم كلها اليد الطولى والمشاركات في سائر أنواعها من التفسير والحديث والتاريخ والحساب والنظر في النجوم والطب والفقه وغير ذلك من اللغة والنحو.. وله من المصنفات في ذلك ما يضيق هذا المكان عن تعدادها وحصر أفرادها، منها كتابه في التفسير المشهور بزاد المسير، وله تفسير أبسط منه، ولكنه ليس بمشهور، وله جامع المسانيد استوعب به غالب مسند أحمد وصحيحي البخاري ومسلم وجامع الترمذي، وله كتاب المنتظم في تواريخ الأمم من العرب والعجم في عشرين مجلداً، قد أوردنا في كتابنا هذا كثيراً منه من حوادثه وتراجمه "[17] .

4- انتقاد علماء الحنابلة لابن الجوزي [18]:

تحامل الحنابلة على ابن الجوزي رحمه الله بسبب شدته في الحق وصراحته، بالإضافة إلى خروجه عن معهود المذهب الحنبلي في باب العقيدة، وهو نفورهم من التأويل والمتأولة من الأشاعرة، جاء في جواب عن سؤال ورد بخصوص مذهب ابن الجوزي في العقيدة: ".. فإننا لا نستطيع أن ننسب أبا الفرج ابن الجوزي إلى مذهب الأشاعرة في الاعتقاد، ذلك لأنه لايوافقهم في جميع أصولهم، وإنما يوافقهم في بعضها، ومن ذلك تفويضه لمعاني صفات الله جل وتعالى، حيث قال بقول متقدمي الأشاعرة، وشيخ الإسلام ابن تيمية يفضل أصحاب أبي الحسن الأشعري المتقدمين على ابن الجوزي وشيخه ابن عقيل، ويراهم أقرب إلى ما كان عليه الإمام أحمد بن حنبل والأئمة، ولكنه يفضلهما على كثير من متأخري الأشاعرة الذين انتحلوا نحلة الجهمية.

قال ابن تيمية في شرح العقيدة الأصفهانية: " وما في كتب الأشعري مما يوجد مخالفاً للإمام أحمد وغيره من الأئمة -فيوجد في كلام كثير من المنتسبين إلى أحمد كأبي الوفاء ابن عقيل وأبي الفرج ابن الجوزي وصدقة بن الحسين وأمثالهم ما هو أبعد عن قول أحمد والأئمة من قول الأشعري وأئمة أصحابه "، ثم بين رحمه الله أن ابن الجوزي مع مخالفته لمعتقد أهل السنة والجماعة إلا أنه أفضل حالاً من متأخري الأشاعرة الذين غالوا في البدعة وخرجوا عن قول الأشعري نفسه، فقال رحمه الله: " ومن هو أقرب إلى أحمد والأئمة من مثل ابن عقيل وابن الجوزي ونحوهما....- أقرب إلى السنة من كثير من أصحاب الأشعري المتأخرين الذين خرجوا عن كثير من قوله إلى قول المعتزلة أو الجهمية أو الفلاسفة ". انتهى.

هذا.. وقد عاش ابن الجوزي رحمه الله ومن قبله شيخه أبوالوفاء علي بن عقيل -رحمهماالله- تناقضاً بين انتمائه السلفي لمدرسة الحنابلة الأثرية الرافضة لعلم الكلام والبدع، وبين قوة التيار الكلامي الذي بلغ ذروته وأوج نشاطه في القرنين الخامس والسادس... ومن ثم جاءت أقوالهما مضطربة متناقضة.

قال الحافظ ابن رجب في تعليل ما لقيه أبوالوفاء من أصحابه الحنابلة: والأذية التي ذكرها من أصحابه له، وطلبهم منه هجران جماعة من العلماء، نذكر بعض شرحها: وذلك أن أصحابنا كانوا ينقمون على ابن عقيل تردده إلى ابن الوليد وابن التبان شيخي المعتزلة، وكان يقرأ عليهما في السر علم الكلام، ويظهر منه في بعض الأحيان نوع انحرافٍ عن السنَّة، وتأولٍ لبعض الصفات، ولم يزل فيه بعض ذلك إلى أن مات رحمه الله. انتهى.

وقد تأثر ابن الجوزي بشيخه ابن عقيل تأثراً بالغاً، فحاد عن طريق سلفه من أئمة المذهب، وقال بقول أهل التأويل، لاسيمافي كتابه (دفع شبه التشبيه بأكف التنزيه)، الذي صنفه في الرد على بعض مشايخ المذهب، كابن حامد، والقاضي أبي يعلى، وشيخه ابن الزاغوني، وليس في الردعلى الحنابلة كما زعم بعضهم.

قال ابن رجب رحمه الله في ذكر كلام الناس فيه:".. ومنها وهو الذي من أجله نقم جماعة من مشايخ أصحابنا وأئمتهم من المقادسة والعلثيين، من ميله إلى التأويل في بعض كلامه، واشتد نكرهم عليه في ذلك، ولا ريب أن كلامه في ذلك مضطرب مختلف، وهو إن كان مطلعاً على الأحاديث والآثار في هذا الباب، فلم يكن خبيراً بحل شبهة المتكلمين وبيان فسادها، وكان معظماً لأبي الوفاء ابن عقيل، يتابعه في أكثر مايجد في كلامه، وإن كان قد رد عليه في بعض المسائل، وكان ابن عقيل بارعاً في الكلام، ولم يكن تام الخبرة بالحديث والآثار، فلهذا يضطرب في هذا الباب، وتتلون فيه آراؤه، وأبو الفرج تابع له في هذا التلون ". انتهى. وكذا قال عنه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:" أن أبا الفرج نفسه متناقض في هذا الباب، لم يثبت على قدم النفي ولا على قدم الإثبات، بل له من الكلام في الإثبات نظماً ونثراً ما أثبت به كثيراً من الصفات التي أنكرها في هذا المصنف ". انتهى

قلت: وهذا في تصورنا تحامل دفع إليه التعصب للمذهب، وإلا فتأويل ابن الجوزي المتوافق مع الأشاعرة لا غبار عليه، والله أعلم.

5- مؤلفاته:

ذكر ابن الجوزي رحمه الله تعالى في كتابه (دفع شبهة التشبيه) بعضا من مؤلفاته البديعة الماتعة، ومنها ما يلي:

-التفاسير المطولة[19]: 1- المغني، 2- زاد المسير، 3- تذكرة الأريب

-كتب الحديث[20]: 1- جامع المسانيد، 2- الحدائق، 3- نقي النقل، وكتبا كثيرة في الجرح والتعديل

-كتب أصول الفقه[21]: 1- الإنصاف في مسائل الخلاف، 2- جنة النظر وجنة الفطر، 3- عمدة الدلائل في مشهور المسائل، 4- البازي الأشهب المنقض على مخالفي المذهب

-كتب فروع الفقه[22]: 1- المذهّب في المذهب، 2- مسبوك الذهب، 3- البلغة

-كتب أصول الدين[23]:عديدة، ومنها كتابه: منهاج الوصول إلى علم الأصول.

المطلب الثالث: محتويات كتاب (دفع شبهة التشبيه)

هذا الكتاب الذي حققه وعلق عليه الشيخ زاهد الكوثري رحمه الله، جاء في مائة صفحة، تحت عناوين رئيسة وفرعية كالتالي:

1- المقدمة[24] .

2- بعض مصنفات ابن الجوزي الدينية[25].

3- المردود عليهم في هذه العجالة[26] .

4- بعض الصفات الذي حملها مشبه على ظاهرها[27] .

5- فصل في الأغلاط التي وقع فيها المردود عليهم[28] .

6- باب ما جاء في القرآن العظيم من آيات الصفات[29] .

7- الحافظ أبو بكر بن خزيمة وإنه ممن سقطوا في هوة التشبيه[30] .

8- تمسك المشبه بظاهر الآيات التي توهم تعيين الجهة، وتأويلهم ما يخالف ذلك بزعمهم[31] .

9- باب ذكر الأحاديث التي سموها أخبار الصفات[32] .

10- خطأ ابن قتيبة في قوله: لله صورة لا كالصور فخلق آدم عليها[33].

11- رأي ابن حزم الظاهري في حديث النزول، واعتماده في ذلك على علم الفلك[34] .

12- تقسيم الناس في أخبار الصفات على ثلاث مراتب[35] .

13- ما اختاره ابن دقيق العيد في التأويل[36] .

14- ما ذهب إليه الألوسي في جواز التأويل[37] .

15- خاتمة الكتاب: وذكر فيها بيتين للمصنف يحمد الله تعالى بهما، ثم قصيدة مطولة يبين فيها المصنف عشقه للعلوم، واختياره لمذهب الإمام أحمد[38] .

ثم أورد المحقق زاهد الكوثري بعد ذلك قصيدة في نفي التشبيه لأبي عبد الله محمد بن الحسن بن منصور.

المبحث الثاني: نقد ابن الجوزي للحنابلة في باب الأسماء والصفات

المطلب الأول: ثناؤه على الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى وتمسكه بمذهبه العقدي

كان الإمام أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله من أشد المحبين للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله، وكان من أكثر المدافعين عنه وعن مذهبه، حتى سبّب له ذلك الموقف عداوات المذاهب الأخرى، وحسد الأقران من مذهبه.

ومن حسنات ذلك التعصب أنه خدم المذهب الحنبلي بتواليف كثيرة ومحاضرات عديدة، كانت سببا في نشره وذيوعه.

وفي باب الأسماء والصفات انتصر لأحمد بن حنبل، وساق مذهبه على سبيل المدح، فقال: " ..حدثناعبداللهبنأحمد،قال: قالأبي: هذه الأحاديث نرويها كما جاءت "[39].

قال أحمد بن حنبل: " من صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة، إرجاء ما غاب عنه من الأمور إلى الله، كما جاءت الأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم إن أهل الجنة يرون ربهم فيصدقها ولا يضرب لها الأمثال، هذا ما اجتمع عليه العلماء في الآفاق "[40].

وتحت عنوان (سياق مذهبه في ذم الكلام وأهله) قال ابن الجوزي:" قال أحمد بن حنبل: لست بصاحب كلام، ولا أرى الكلام في شيء من هذا إلا ما كان في كتاب أو حديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو عن أصحابه، فأما غير ذلك، فإن الكلام فيه غير محمود.لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبّوا عن السنة.. "[41].

ثم يسوق جملة اعتقاد إمامه فيقول: " صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأقرّ بجميع ما أتت به الأنبياء والرسل، وعقد قلبه على ما ظهر من لسانه، ولم يشك في إيمانه، ولم يكفّر أحدًا من أهل التوحيد بذنبٍ، وأرجأ ما غاب عنه من الأمور إلى الله، وفوض أمره إلى الله، ولم يقطع بالذنوب العِصمة من عند الله، وعلم

أن كل شيءٍ بقضاء الله وقدره الخير والشر جميعًا، ورجا لمحسن أمة محمد، وتخوّف على مسيئهم، ولم ينزل أحدًا من أمة محمد الجنة بالإحسان، ولا النار بذنب اكتسبه، حتى يكون الله الذي يُنزل خلقه حيث يشاء، وعرف حقَّ السلف الذين اختارهم الله لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وقدّم أبا بكر وعمر وعثمان، وعرف حقَّ علي بن أبي طالب وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد بن عمرو ابن نفيل، على سائر الصحابة، فإن هؤلاء التسعة الذين كانوا مع النبي صلى الله عليه وسلم على جبل حِراء فقال النبي صلى الله عليه وسلم: « اسْكُنْ حِرَاءُ فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ صِدِّيقٌ أَوْ شَهِيدٌ »[42] والنبي عاشرهم، وترحّم على جميع أصحاب محمد صغيرهم وكبيرهم، وحدّث بفضائلهم، وأمسك عما شجربينهم، وصلاة العيدين والخوف والجمعة والجماعات مع كل أمير، بر أو فاجرٍ، والمسح على الخُفين في السفر والحضر، والتقصير في السفر، والقرآن كلام الله وتنزيله وليس بمخلوق، والإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص، والجهاد ماضٍ منذ بعث الله محمدًا إلى آخر عصابة يقاتلون الدجال، لا يضرهم جور جائر، والشراء والبيع حلالٌ إلى يوم القيامة على حكم الكتاب والسنة، والتكبير على الجنائز أربعًا، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا تخرج عليهم بسيفك، ولا تقاتل في فتنة وتلزم بيتك، والإيمان بعذاب القبر، والإيمان بمنكرٍ ونكير، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان أن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى، وأن الموحدين يخرجون من النار بعد ما امتحشوا، كما جاءت الأحاديث في هذه الأشياء عن النبي صلى الله عليه وسلم، نصدقها ولا نضرب لها الأمثال. هذا ما اجتمع عليه السلف من العلماء في الآفاق"[43].

وفي آخر كتابه (دفع شبهة التشبيه) يثني ابن الجوزي على إمامه بقوله: " ولما علم بكتابي هذا جماعة من الجهال، لم يعجبهم لأنهم أَلِفُوا كلام رؤسائهم المجسمة فقالوا: ليس هذا المذهب. قلت: ليس مذهبكم ولا مذهب من قلّدتم من أشياخكم، فقد نزّهت مذهب الإمام أحمد، ونفيت عنه كذب المنقولات، وهذيان المقولات، غير مقلّد فيما أعتقده، وكيف أترك بهرجا وأنا أنقده "[44]. ثم تمثّل بقصيدة في مدحه ومدح تلامذته الملتزمين باعتقاده وفقهه، فقال رحمه الله[45]:

ولمانظرت في المذاهب كلهـا طلبت الأسدّ في الصواب وما أغلو

فألفيت عند السبر قول ابن حنبل يزيد على كل المذاهب بل يعـلـو

وكل الذي قد قـاله فمشيـد بنقل صحيح والحديث هو الأصل

وكان بنقل العلم أعرف من روى يقـوم بأنـاء وإنـانه عضـل

ومذهبه ألا يشبـه ربـه ويتبع في التسليـم من قد مضى قبل

فقام له الحساد من كل جـانب فقـام على رجل الثبات وهم زلوا

وكـان له أتباع صدق تتابعوا فكم أرشدوا نحو الهدى وكـم دلوا

وبعد ذلك شرع في انتقاد من يزعم أنهم حنابلة، وحقيقة الأمر إن هم إلا جهلة حسدة متعصبة، فقال[46]:

وجاءك قوم يدعـون تمذهبا بمذهبـه ما كـل زرع له أكل

فـلا في فروع يثبتون لنصـرة وعندهم من فهـم ما قاله شغل

إذا ناظـروا قاموا مقام مقاتل فواعجبا والقوم كلهـم عزل

قياسهم طردا إذا ما تصـدروا وهم من علوم النقل أجمعها عطل

إذا لم يكن في النقل صاحب فطنة تشابهت الحياة وانقطـع الحبل

ومالوا إلى التشبيه أخذا بصورة لما نقلوه في الصفـات وهم غفل

وقالوا الذي قلنـاه مذهب أحمد فمال إلى تصديـقهم من به جهل

وصار الأعادي قائليـن لكلنا مشبهة قد ضرنا الصحب والخـل

فقد فضحوا ذاك الإمام بجهلهم ومذهبه التنزيه لكن هم اختلـو

لعمري لقد أدركت منهم مشايخا وأكثر من أدركتهم ما لـه عقل

وما زلت أجلوا عندهم كل خصلة من الإعتقاد الرذل كي يجمع الشمل

تسموا بألقاب ولا علـم عندهم موائدهم لا حرم فيـها ولا حل

موائدهم لا يلحق الخـل بقلها وإن شئت لا خل لديهم ولا بقل

وأكثر حساد لنا أهل مذهبـي فلو قدروا أفتوا بأن دمـي حل

تمنوا بجهل أن تزل بي الهـوى ولم تمش في مجد بمثلي لهـم رجل

ومنذ مى شيخ الجمـاعة أحمد إلى الآن لم يوجد لعالمـكم مثل

لقد بات عندي ألف ألف تقدموا سحابة وغطى كلهم صيب وبل

وروضة علمي كلها ممرع الحبا وبستانهم إذا ما تاملته أثـل

وما زالت الحـاسد تحسد كـاملا ينقصهم والغل لو فهمـوا غل

وكيف ترى بر الحسـود وداؤه إذا سئل الطب الخبيـر به سل

تفرد بالبغض القبيح مخـالف أليس اجتماع الناس لي شاهد عدل

المطلب الثاني: انتقاده لأعلام المذهب الحنبلي

انتقد ابن الجوزي شيوخ الحنابلة في مسألة التشبيه، وحمل عليهم حملة شرسة، حيث اتهمهم بالتشبيه، فشوهوا بذلك المذهب الحنبلي السلفي، وخرجوا عن طريقة إمام أهل السنة والجماعة. فهربوا من التأويل مع التنزيه- بزعمهم – فوقعوا في طائلة التشبيه، وليس هؤلاء بعامة وأنصاف متعلمين –ويا ليتهم كانوا كذلك –، بل هؤلاء جلة علماء المذهب ورواده الكبار، الأمر الذي

انتصب الإمام العلامة عبد الرحمن بن الجوزي رحمه الله منتقدا، فقال رحمه الله: " ورأيت من أصحابنا-يقصد الحنابلة- من تكلم في الأصول – يقصد العقائد – بما لا يصلح، وانتدب للتصنيف ثلاثة: أبو عبد الله بن حامد[47]، وصاحبهالقاضي أبو يعلى[48]، وابن الزاغوني[49]، فصنفوا كتبا شانوا بها المذهب، ورأيتهم قد نزلوا إلى مرتبة العوام،فحملوا الصفات على مقتضى الحس، فسمعوا أن الله سبحانه وتعالى خلق آدم عليه الصلاة والسلام على صورته، فأثبتوا له صورة ووجها زائدا على الذات، وعينين، وفما، ولهوات، وأضراسا، وأضواء لوجهه هي السبحات، ويدين، وأصابع، وكفا، وخنصرا، وإبهاما، وصدرا، وفخذا، وساقين، ورجلين، وقالوا: ما سمعنا بذكر الرأس. وقالوا: يجوز أن يمس ويمس، ويدني العبد من ذاته، وقال بعضهم: ويتنفس، ثم إنهم يرضون العوام بقولهم: لا كما يعقل "[50]. ويستنكر عليهم حمل الأحاديث الشريفة على ظاهرها فيقول موجها لهم الخطاب النقدي: " فلو أنكم قلتم نقرأ الأحاديث ونسكت لما أنكر أحد عليكم، إنما حملكمإياها على الظاهر قبيح"[51].

يقول الشيخ زاهد الكوثري – محقق الكتاب –: " وكلام الحنابلة في التشبيه مخالف لمنهج إمامهم في التفويض مع التنزيه، ومن ذلك أنه لما سئل الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن أحاديث الرؤية والنزول والقدم وغيرها قال: نؤمن بها، ونصدق بها، ولا كيف ولا معنى، ولما سئل عن معنى الاستواء قال: استوى على العرش كيف شاء، وكما شاء، بلا حد ولا صفة يبلغها واصف (..) وقد أوّل الإمام أحمد في بعض الصفات مع التنزيه، فروى عنه حنبل ابن أخيه قوله: احتجوا عليّ يوم المناظرة- يقصد المعتزلة في محنة خلق القرآن الكريم الشهيرة –، فقالوا: تجيء يوم القيامة سورة البقرة وتجيء سورة تبارك، فقلت لهم: إنما هو الثواب، قال الله جل ذكره: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[52]..وإنما تأتي قدرته. وقال ابن حزم الظاهري في فصله: " وقد روينا عن أحمد بن حنبل رحمه الله أنه قال: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، إنما معناه: وجاء أمر ربك. وهذا تأويل وتنزيه كما هو مذهب الخلف، وأما ما ينقل عن الإمام أحمد مما يخالف ما تقدم فهو تخرّص صديق جاهل وسوء فهم لمذهب هذا الإمام "[53].

وفي انتقاد ابن الجوزي للحنابلة ورد مايلي:

– أنهم حملوا النصوص الواردة في الأسماء والصفات على ظاهرها، وتحاشوا النصوص الصارفة عن المعنى الظاهر إلى المعاني الواجبة لله تعالى(التأويل مع التنزيه).

– لم يستخدموا التوجيه اللغوي للألفاظ، مثل اليد المقصود بها النعمة والقدرة في قوله تعالى: ﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾[54]. والمجيئ والإتيان بمعنى اللطف والبر، في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ ﴾[55]،وقوله صلى الله عليه وسلم – فيما رواه عنه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه –: «.. حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ أَتَاهُم رَبُّ العَالَمِينَ»[56]، ولا ساق على شدة، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[57]، مع تنبيهه على أن الشيء إنما يحمل على حقيقته في الأصل، فإن صرف صارف حمل على المجاز.

–شبههم بالنصارى لعنهم الله الذين شبهوا الله تعالى، حين اعتقدوا أن الله تعالى صفة هي روح ولجت في مريم.–واستنكر تشبيههم لصفة الاستواء لله تعالى باستواء المخلوقين، في قوله عز وجل: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾[58].

–يقدّس العقل فيجعله مثبتا للنص، فيقول: " ..وينبغي أن لا يهمل ما يثبت به الأصل وهو العقل، فإنا به عرفنا الله تعالى وحكمنا له بالقدم "[59].

–ويتعجب من هؤلاء، فبالرغم من أن كلامهم صريح في التشبيه إلا أنهم يأنفون من بدعة التشبيه مصرحين بأنهم أهل السنة على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله. ومقالهم في التشبيه يناقض ذلك تماما، قال ابن الجوزي بنبرة فيها الغضب والاستنكار: " فلا تدخلوا في مذهب هذا الرجل الصالح السلفي ما ليس منه، فلقد كسيتم هذا المذهب شيئا قبيحا، حتى صار لا يقال عن حنبلي إلا مجسم "، وربما كذب هؤلاء الأغرار على إمامهم الذي كان يلعن يزيد بن معاوية، وهم يتعصبون له[60].

وفي هذا المجال الذي زلت فيه عقول وقلوب الحنابلةيعلن ابن الجوزي انتصاره للحق وذوده عن الإمام أحمد بن حنبل بقوله: " ..فرأيت الرد عليهم– الحنابلة المشبهة –لازما، لئلا ينسب الإمام

أحمد رحمه الله إلى ذلك، وإذا سكتّ نسبت إلى اعتقادي ذلك، ولا يهولني أمر يعظم في النفوس، لأن العمل على الدليل- وخصوصا في معرفة الحق تعالى - لا يجوز فيها التقليد، وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن مسألة فأفتى فيها، فقيل: هذا لا يقول به ابن المبارك. فقال: ابن المبارك لم ينزل من السماء. وقال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: استخرت الله تعالى في الرد على الإمام مالك رحمه الله "[61].

وقد انتقد ابن الجوزي علماء الحنابلة الذين تلبّسوا ببدعة التشبيه في أوجه خمسة:

1/لم يفرقوا بين أخبار الصفات وأخبار الإضافات، وليس كل مضاف صفة، ومن ذلك جعلهم الروح صفة في قوله تعالى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾[62].

2/ذكروا أن أحاديث الأسماء والصفات من المتشابه الذي لا﴿يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾[63]..، ومع ذلك فراحوا يحملونها على ظاهرها. وبذلك جعلوا الاستواء قعودا، والنزول انتقالا، وهو عين التشبيه.

3/أثبتوا لله تعالى صفات زائدة عن الذات، لا أدلة قطعية على ثبوتها مثل أدلة الذات، وقد ساق ابن الجوزي عدة نماذج في هذا المضمار، نكتفي بمثال واحد منها، فقد قال رحمه الله: " ..ومنها قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾[64]، و﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾[65]. أي: بمرأى منا، وإنما جمع لأن عادة الملك أن يقول: أمرنا ونهينا. وقد ذهب القاضي أبو يعلى إلى أن العين صفة زائدة على الذات، وقد سبقه أبو بكر بن خزيمة فقال: لربنا عينان ينظر بهما؟!! وقال ابن حامد: يجب الإيمان أن له عينين؟!! وهذا ابتداع لا دليل لهم عليه، وإنما أثبتوا عينين من دليل الخطاب في قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ بِأَعْوَرَ»[66].وإنما أريد نفي النقص عنه تعالى، ومتى ثبت أنه لا يتجزأ لم يكن لما يتخايل من الصفات وجه "[67].

4/لا يفرقون بين الأخبار المشهورة والموضوعة في مسألة إثبات الصفات، فمن المشهور مثلا: عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخَرُ، فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبُ لَهُ ؟، مَنْ يَسْأَلُنِي

فَأُعْطِيهِ؟ مَنْيَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرُ لَهُ؟»[68]، ومما لا يصحّ: (رأيت ربي في أحسن صورة)[69] .يقول ابن الجوزي: "روى حديث النزول عشرون صحابيا، وقد سبق القول أنه يستحيل على الله عز وجل الحركة والنقلة والتغيّر، فيبقى الناس رجلين: أحدهما المتأول بمعنى أنه يقرب برحمته (..) والثاني الساكت عن الكلام في ذلك مع اعتقاد التنزيه(..) قال ابن حامد: هو على العرش بذاته مماس له، وينزل من مكانه الذي هو فيه وينتقل. وهذا رجل لا يعرف ما يجوز على الله تعالى. وقال القاضي أبو يعلى:النزول صفة ذاتية، ولا نقول نزول انتقال. وهذا مغالط . ومنهم من قال: يتحرك إذا نزل. وما يدري أن الحركة لا تجوز على الله تعالى. وقد حكوا عن الإمام أحمد ذلك، وهو كذب عليه. ولو كان النزول صفة ذاتية لذاته كانت صفته كل ليلة تتجد. وصفاته قديمة كذاته "[70].

5/ لا يفرقون كذلك بين حديث مرفوع إلى النبي صلى الله عليه وسلم وبين حديث موقوف على صحابي أو تابعي، فأثبتوا بهذا ما أثبتوا بهذا.

6/تأولوا في مواضع ولم يتأولوا في مواضع أخرى، ومن تأويلهم أنهم قالوا: ضرب الله تعالى مثلا للإنعام، في الحديث القدسي: «إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا وَإِذَا تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا وَإِذَا أَتَانِي مَشْيًا أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً»[71].

7/حملوا النصوص على الحسّيّات، ومنه قولهم: ينزل بذاته، وينتقل ويتحول، ثم غالطوا السامع بقولهم: لا كما نعقل؟[72] .

ويذهب ابن الجوزي – عفا الله عنه – في انتقاده الحنابلة المشبهة حتى يعرّض باللعن والتكفير، ومن ذلك تعليقه عليهم عقب ايراد حديث الريح، الذي يرويه أبي ابن كعب رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «لاَ تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِنَّهُ مِنْ نَفَسِ الرَّحْمَنِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَلَكِنْ سَلُوا اللَّهَ خَيْرَهَا، وَتَعَوَّذُوا بِهِ مِنْ شَرِّهَا»[73]. النفس بمعنى التنفيس عن المكروب. ومثله ما روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «وَأَجِدُ نَفَسَ رَبِّكُمْ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ». يعني تنفيسه عن الكرب بنصرة أهل المدينة إياي، والمدينة من جانب اليمن، وهذا شيء لا يختلف فيه المسلمون. وقال ابن حامد: رأيت بعض أصحابنا يثبتون لله تعالى وصفا في ذاته بأنه يتنفس، قال: وقالوا

الرياح الهابة مثل العاصف والعقيم والجنوب والشمال والصبا والدبور مخلوقة، إلا ريحا من صفاته، هي ذات نسيم خيالي، وهي من نفس الرحمن. قلت: على من يعتقد هذا اللعنة، لأنه يثبت جسدا مخلوقا، ما هؤلاء بمسلمين؟!!"[74].

الخاتمة:

في ختام هذه الرحلة القصيرة مع هذا الموضوع الهام، أود تسجيل النتائج والتوصيات التالية:

1- العلوم الشرعية خلال القرون السالفة شهدت الغث والسمين، ولابد من مراجعات في تراثنا الإسلامي الجليل.

2- النقد خدم العلوم الشرعية، ولا يزال مطلوبا بقوة في شتى التخصصات.

3- ابن الجوزي رحمه الله تعالى استطاع أن يلفت الأنظار إلى ضرورة مراجعة كل مذهب لتراثه الفقهي والعقدي وغير ذلك.

4- نوصي بضرورة عقد الملتقيات المكثفة في هذا المضمار.

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم.

- أبو الحسن الشيخ، تراجع العلامة الألباني فيما نص عليه تصحيحا وتضعيفا، اختصره: محمد بو عمر، طبع بعناية دار المعارف بالرياض، (دط-دت)، ج01.

-أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، دار عالم الكتب، الرياض، سنة النشر: 1424هـ / 2003م ، (دط)، ج16.

- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، دفع شبهة التشبيه، تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط01، (د.ت).

– أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي،مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر :دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، القاهرة، مصر، ط01، 1997م،

– أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ،المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 2001م.

–أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، دار قتيبة، دمشق، 1993م، (دط).

–أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مكتبة ابن تيمية، (د د–د ت–د ط)، ج24.

–أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي الكبرى،تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، (دط)، ج06.

–أحمد بن علي بن حجر العسقلاني،فتح الباري شرح صحيح البخاري، دارالريان للتراث، بيروت، 1986م، (دط).

– دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع،الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،المجلد الأول ، الرياض، ط 5، (د ت)

– شريف عبدالعزيز الزهيري، الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، ترويض المحن – دراسة تحليلية لأهم المحن التي مرَّ بها كبار علماء الأمة، دار الصفوة بالقاهرة، 1430هـ، 2009م.

–علي بن سلطان محمد القاري في كتابه مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، 2002م، ج07.

– محمد أبو زهرة، ابن حنبل: حياته وعصره – آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، (دت).

– محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، يروت، لبنان، سنة النشر: 1422هـ / 2001م.

– مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، 1411هـ-1991م، ج4.

–يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، شرح النووي على مسلم، دار الخير، دمشق، 1996م، (دط).

المواقع الالكترونية:

– شبكة الإسلام ويب:http://fatwa.islamweb.net

– موقع الألوكة: www.alukah.net/culture/0/107684

الهوامش:

1تحقيق وتعليق محمد زاهد الكوثري، نشر المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، ط01، (د.ت).

2 مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، دار الكتاب المصري، القاهرة، ودار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الثالثة، 1411هـ-1991م، ج4 ص7، 8، محمد أبو زهرة، ابن حنبل: حياته وعصره – آراؤه وفقهه، دار الفكر العربي، القاهرة، (دت)، ص14، 17-18.

3 محمد أبو زهرة، ابن حنبل، مرجع سابق، ص25-26.

4 مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، مرجع سابق، ج4، ص81-82. انظر أيضاً: أبو زهرة، ابن حنبل، ص35-36.

5أبو زهرة، ابن حنبل،ص46، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر :دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الجيزة، القاهرة، مصر، ط01، 1997م، " الباب السادس والستون: في ذكر ابتداء المحنة وسببها "، ص416-ص 418، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة،المجلد الأول ، الرياض، ط 5، (د ت)، ص 125.

6 أبو زهرة، ابن حنبل، مرجع س، ص95.

7 عبد الرحمن بن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، " الباب الثمانون: في تاريخ موته ومبلغ سنه "، ص549-552.

8ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، ص73.

9 أبو زهرة، ابن حنبل، ص89.

10مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، ج4، 94.

11محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة، يروت، لبنان، سنة النشر: 1422هـ / 2001م،الطبقة الثانية عشرة" أحمد بن حنبل نسبه ومولده"، ج11، ص300.

12 ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل، الباب السابع والعشرون: في ذكر مصنفاته، ص261-262، انظر أيضاً: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، المسند، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، إشراف: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط01، 2001م، ص47-50.

13 مصطفى الشكعة، الأئمة الأربعة، ج4 ص243.

14شريف عبدالعزيز الزهيري، الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، ترويض المحن – دراسة تحليلية لأهم المحن التي مرَّ بها كبار علماء الأمة، دار الصفوة بالقاهرة، 1430هـ، 2009م، مقال الألوكة، تاريخ الإضافة: 2016/09/26م، زيارتي تحت رقم: 24971،تاريخ التحميل: 2019/03/11م،08:20ساa: www.alukah.net/culture/0/107684.

15 شريف عبدالعزيز الزهيري، الإمام أبو الفرج ابن الجوزي، ترويض المحن، مصدر سابق.

16 سير أعلام النبلاء،" الطبقة الحادية والثلاثون- أبو الفرج بن الجوزي "، مصدر سابق، ج21، ص368.

17البداية والنهاية، دار عالم الكتب، الرياض، سنة النشر: 1424هـ / 2003م ، فصل " ثم دخلت سنة سبع وتسعين وخمسمائة « من توفي فيها من الأعيان "، ج16، (دط)، ص707، 708.

18 شبكة إسلام ويب، فتوى رقم:68107، مذهب ابن الجوزي في العقيدة، تاريخ الإضافة في الموقع: 2005/10/12م، http://fatwa.islamweb.net، تاريخ التحميل: 2019/03/11، 08:32سا.

19 محمد زاهد الكوثري، دفع شبهة التشبيه، مرجع سابق، ص 04.

20 نفسه، ص 04.

21 نفسه، ص 05.

22 نفسه، ص 06.

23 نفسه، ص 06.

24 نفسه، ص 01.

25 نفسه، ص 02-04.

26 نفسه، ص 04.

27 نفسه، ص 05-07.

28 نفسه، ص 07-10.

29 نفسه، ص 10.

30 نفسه، ص 11.

31 نفسه، ص 21-26.

32 نفسه، ص 26.

33 نفسه، ص 29.

34 نفسه، ص 48-57.

35 نفسه، ص 57-59.

36 نفسه، ص 59.

37 نفسه، ص 59.

38 نفسه، ص 59-79.

39 مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص 209.

40 نفسه، ص 209-210.

41 نفسه، ص 210.

42 أخرجهعلي بن سلطان محمد القاري في كتابه مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، دار الفكر، بيروت، 2002م، (كتاب المناقب والفضائل)، " باب مناقب هؤلاء الثلاثة رضي الله عنهم "، ج07، برقم: 6083. ثم ذكر أنه من رواية الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، ثم قال –معلقا –: "خرجه الترمذي أيضا عن سعيد بن زيد وذكر أنه كان عليه العشرة إلا أبا عبيدة، وقال: " اثبت حراء " الحديث. فاختلاف الروايات محمول على تعدد القضية في الأوقات، وإثبات الشهادة لبعضهم حقيقة، وللباقين حكما والله أعلم"، ص 3929.

43 ابن الجوزي، مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، ص 223-224.

44 ابن الجوزي،دفع شبهة التشبيه ، ص 80.

45 نفسه، ص82.

46 نفسه، ص82-83.

47 شيخ الحنابلة، ومفتيهم، أبو عبد الله، الحسن بن حامد بن علي بن مروان، البغدادي الوراق، مصنف كتاب: "الجامع" في عشرين مجلدا في الاختلاف. روى عن أبي بكر النجاد، وأبي بكر الشافعي، وابن سلم الختلي. روى عنه أبو علي الأهوازي وأبو طالب العشاري والقاضي أبو يعلى وتفقه عليه، والمقرئ أبو بكر الخياط. وكان يتقوّت من النسخ ويكثر الحج. وهو أكبر تلامذة أبي بكر غلام الخلال. هلك شهيدا في أخذ الوفد سنة ثلاث وأربعمائة، شمس الدين الذهبي، سير أعلام النبلاء،(الطبقة الثانية والعشرون- ابن حامد)، مصدر سابق، ج17، ص 203.

48 شيخ الحنابلة، المفتي القاضي أبو يعلى الصغير، محمد بن أبي حازم محمد بن القاضي الكبير أبي يعلى بن الفراء البغدادي، من أنبل الفقهاء وأنظرهم.تخرج به خلق. سمع من أبي الحسن بن العلا، والحسن بن محمد التككي، وطائفة. وولي قضاء واسط مدة، ثم عزل، ولزم الإفادة. روى عنه أبو الفتح المندائي، وابن الأخضر. توفي في جمادى الأولى سنة ستين وخمسمائة وله ست وستون سنة . تفقه بأبيه وبعمه أبي الحسين محمد. وكان أحد الأذكياء،سير أعلام النبلاء،(الطبقة التاسعة والعشرون- ابن الفراء)، مصدر سابق، ج18، ص 354-355.

49 الإمام العلامة، شيخ الحنابلة، ذو الفنون أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر بن عبيد الله بن سهل ابن الزاغوني البغدادي، صاحب التصانيف. ولد سنة خمس وخمسين وأربعمائة. وكان من بحور العلم، كثير التصانيف، يرجع إلى دين وتقوى، وزهد وعبادة . قال ابن الجوزي: صحبته زمانا، وسمعت منه، وعلقت عنه الفقه والوعظ، ومات في سابع= =عشر المحرم سنة سبع وعشرين وخمسمائة، وكان الجمع يفوت الإحصاء. قال ابن الزاغوني في قصيدة له، منها:

إني سأذكر عقد ديني صادقا ** نهج ابن حنبل الإمام الأوحد

عال على العرش الرفيع بذاته ** سبحانهعنقولغاوملحد

قد ذكرنا أن لفظة " بذاته " لا حاجة إليها، وهي تشغب النفوس، وتركها أولى، والله أعلم. ورأيت لأبي الحسن بخطه مقالة في الحرف والصوت عليه فيها مآخذ، والله يغفر له، فيا ليته سكت، سير أعلام النبلاء،(الطبقة الثامنة والعشرون- أبو الحسن ابن الزاغوني)، مصدر سابق، ج19، ص 605-608، مع تصرف يسير.

50 دفع شبهة التشبيه، ص 06، 07.

51 دفع شبهة التشبيه، ص 06، 07.

52 سورة الفجر: 22.

53 دفع شبهة التشبيه، هامشص 08.

54 سورة الفتح: 10.

55 سورة البقرة: 210.

56 يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، شرح النووي على مسلم، دار الخير، دمشق، 1996م، (كتاب الإيمان- باب معرفة طريق الرؤية)، مسألة رقم: 183، ص407.

57 سورة القلم: 42.

58 سورة طه: 05.

59 دفع شبهة التشبيه، ص 07، ص 08.

60 دفع شبهة التشبيه، ص 09.

61 دفع شبهة التشبيه، ص 10، 11.

62 سورة الحجر: 29.

63 سورة آل عمران: 07.

64 سورة طه: 39.

65 سورة هود: 37.

66 يحيي بن شرف أبو زكريا النووي، شرح النووي على مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة «باب ذكر الدجال وصفته وما معه، برقم: 164، ص372.

67 دفع شبهة التشبيه، ص 12-13، ص74-75.

68 أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار، دار قتيبة، دمشق، 1993م، (كتاب القرآن- باب ما جاء في الدعاء،مسألة رقم: 472، ص147. ثم قال ابن عبد البر رحمه الله: " فهو حديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، وطرقه كثيرة صحاح بألفاظ متقاربة ومعنى واحد ".

69 ورد بهذا اللفظ: عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تَرَاءَى لِي رَبِّي فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، فَقُلْتُ: لَبَّيْكَ رَبِّي وَسَعْدَيْكَ، قَالَ: فِيمَ يَخْتَصِمُ الْمَلَأُ الْأَعْلَى؟ قُلْتُ: فِي الْكَفَّارَاتِ وَالدَّرَجَاتِ، فَأَمَّا الْكَفَّارَاتُ: فَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ فِي السَّبَرَاتِ، وَنَقْلُ الْأَقْدَامِ فِي الْجُمُعَاتِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَوَاتِ إِلَى الصَّلَوَاتِ، وَأَمَّا الدَّرَجَاتُ: فَإِفْشَاءُ السَّلَامِ، وَإِطْعَامُ الطَّعَامِ، وَالصَّلَاةُ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، قَالَ: صَدَقْتَ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَاشَ بِخَيْرٍ، وَكَانَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عَمَلًا بِالْحَسَنَاتِ، وَتَرْكَ السَّيِّئَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذَنْبِي، وَتَتُوبَ عَلَيَّ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً - وَأَنَا فِيهِمْ - فَنَجِّنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ»، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، مكتبة ابن تيمية، (د د-د ت-د ط)، = =(باب الياء- باب بلاغات مالك ومرسلاته- الحديث الموفي الثلاثين: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ »، ج24، ص 321.

70 دفع شبهة التشبيه، ص 49-50.

71 حديث قدسي رواه الإمام البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريان للتراث، بيروت، 1986م، (كتاب التوحيد- باب ذكر النبي صلى الله عليه وسلم وروايته عن ربه)، برقم: 7098.

72 دفع شبهة التشبيه، ص09، 10.

73 أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، 1991م، ج06، ص 232، برقم: 10772. وقد وسم الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله هذا الحديث بالضعف، ثم تراجع عن ذلك ليصححه لاحقا، على غرار كثير من تراجعاته في ذلك، قال أبو الحسن الشيخ: " (إني لأجد نفس الرحمن من قبل اليمن) من حديث أبي هريرة، الضعيفة 1097، والحديث في الصحيحة 3367، بلفظ (إني لاجد نفس الرحمن من هنا - يشير الى اليمن)، قال الشيخ- يقصد الألباني-: واعلم أن هذا الحديث قد جاء في بعض طرقه زيادة اخرى بلفظ (عقر دار المؤمنين بالشام) وكنت خرجته في المجلد الرابع 1935- أي الصحيحة -فأعدت تخريجه هنا لحديث الترجمة مستدركا به على تخريجي اياه في الضعيفة 1097، لكن من حديث ابي هريرة، فهذا شاهد قوي له من حديث سلمة بن نفيل أوجب علي تخريجه هنا والتنبيه على أن الحديث صار به صحيحا والحمد لله على توفيقه وأسأله المزيد من فضله "، كتاب: تراجع العلامة الألباني فيما نص عليه تصحيحا وتضعيفا، اختصره: محمد بو عمر، طبع بعناية دار المعارف بالرياض، (دط-دت)، ج01، ص41. ابن الجوزي نسب الحديث إلى الصحابي الجليل جابر بن عبد الله رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إذا رأيتم الريح فلا تسبوه فإنها من نفس الرحمن تأتي بالرحمة وتأتي بالعذاب، فاسألوا الله خيرها واستعيذوا بالله من شرها)، ينظر: دفع شبهة التشبيه، ص 79.

74 دفع شبهة التشبيه، ص 79-80.